

يحصل تنفسهم على الأكثر بنزول الحجاب الحاجز فيضغط على الأحشاء وبذلك يرتفع البطن ويسمى هذا الضرب من التنفس « بالتنفس البطني » أما في الرجال فأكثر حركة التنفس تشاهد في الجزء الأسفل من الصدر مع بروز البطن أيضاً، وفي النساء تشاهد الحركة على الأكثر في الجزء العلوي من صدورهن ويختلف أيضاً عدد مرات التنفس باختلاف الأعمار وبالراحة والتعب وبالصحة والمرض، فيكون في الصغار وفي الحيات وغيرها أكثر، وكذا بعد التعب الجسماني أو الانفعال النفساني

(يتبع)

الحق والقوة *

وبحث فلسفي عنهما بمناسبة الحرب الحاضرة

أو درس ضروري لنا نحن السوريين

خصوصاً والشرقيين عموماً

الجنرال فون برنهاردي قائد مجرب له مكانة سامية في الجيش الألماني كما أنه عالم طبيعي شهير له مصنفات شتى في علم الأحياء (بيولوجيا) يرجع إليها ويستقى منها. وقد أصدر هذا الجنرال كتاباً في سنة ١٩١٣ دعاه « المنطق والمبادئ في الحروب » ضمنه آراءه في الحرب ووجوب الالتجاء إليها عدا أياها فضيلة، فكان هذا المؤلف موضوع الأحاديث في الأندية العلمية والسياسية في العالم بأسره وزادت أهميته بعد إعلان الحرب الكبرى الحاضرة لأن كثيراً من الأعمال الألمانية فيها أتت مصداقاً لما ورد في ذلك الكتاب — كأن أركان حرب ألمانية كلهم هم الذين أنشأوه لا فرداً واحداً من قوادهم

ولما كثرت المجالات العلمية والسياسية من البحث في هذا الكتاب وتعاليمه تصدت مجلة القرن التاسع عشر الشهيرة لنقده فنشرت مقالة بليغة مسبهة في عددها الأخير عنوانها « الحق والقوة » أردنا تعريبها والتعليق عليها لأننا نحن الشرقيين صرنا أحوج أم الأرض إلى تعاليم الجنرال فون برنهاردي وأشداهم افتقاراً إلى من (*) نقل عن جريدة الأفكار التي تصدر في البرازيل (عدد ٩٠٢)

يذيعها بيننا بعد ان شبعنا من التعاليم الاكبريكية والمبادئ الخيالية التي اذناها
وغير عز ، واقفرتنا وغيرنا اغتني ، وأضعفتنا وغيرنا قوي وأفلح .

قالت مجلة القرن التاسع عشر :

اشتهر كتاب الجنرال فون برنهاردي الاخير لانه لم يتضمن ابحاثا سياسية فقط
بل تضمن ايضا ابحاثا فلسفية وعمرانية واجتماعية تشهد له بالجرأة وطول الباع . واننا
في نقدنا فلسفة الاجتماع ومبادئها الواردة في ذلك الكتاب نحصر كلامنا فيما له
علاقة بالحرب الحاضرة من تلك المبادئ . وايضا لما نحن بصدد الان نشر أولا
أهم تلك التعاليم التي نرى برنهاردي يبشر بها وهي مقتطفات من كتابه الآنف الذكر :

١ - تنازع البقاء

قال ان التنازع لاجل البقاء هو الناموس الاول الذي لا مفر منه ، لا في
المجتمع الانساني فقط بل في العالم الحيواني بأسره . وبموجب هذا الناموس لا يمكن
حراز النجاح والارتقاء من دون استئصال المعضو الضعيف من المجتمع . فالضعيف
اذن يجب ان يهلك ويقتل . بيد ان المجتمع البشري يختلف عن غيره من المجتمعات
الحيوانية في ان الانسان له حياة فردية وحياة عمومية معا وهذه الاخيرة مرتبطة
بالوطن الذي ينتمي الفرد اليه ولذلك كان ناموس تنازع البقاء وبقاء الانسب لا ينطبق
تمام الانطباق على الانسان كما ينطبق على الحيوان ، لان الواحد من الحيوان لا ينظر
الا الى مصلحته الخاصة فقط ، أما الفرد البشري المرتبط بمجموع الامة المتسمي هو
اليها فعليه نوع من المسؤولية نحو تلك الامة من حيث هي مجموع منظم . والامم وهي
مجموع أفراد - لا حياة لها الا بالتنازع أيضا ولكنها في هذا الجهاد يجب ان تلجئ
الى نظام موافق أو شريعة عادلة تسري على الكل من دون تمييز حتى اذا تعارضت
مصلحة الفرد ومصلحة الامة كان على الفرد ان يضحي بمصلحته الخاصة اذا اقتضت
المصلحة العمومية تضحيته (١) أي ان المنفعة الشخصية يجب ان تضحي على مذبح

(١) الافكار: كما عطينا مرة ان يطبع خطاب روزفلت في «الاخلاق» ويوزع
منه مليون نسخة في سورية والاسنانة كذلك نتمنى الآن ان يترجم كتاب برنهاردي
هذا ويوزع على جميع العثمانيين وعموم الشرقيين لان الشرق كله بحاجة ماسة الى
مبادئ هذا الكتاب العملية دون المبادئ النظرية التي كانت علة انحطاطه

المنفعة العمومية عند الحاجة وفي الهيئات الراقية المنظمة

٢ — القوة المحسوسة واجبة لحفظ المجتمع

هذا من النظرة الشخصية الفردية ، أما من النظرة العمومية فالمسألة فيها نظر لان الامة الواحدة في أثناء معاملاتها مع سائر الامم لا يجوز لها ان تسير بموجب المبدأ الآنف الذ كرأي مبدأ تضحية الواحد لاجل الخير العام عند الحاجة الى ذلك، بل يجب على الامة كجموع منظم ان تفسر الحق والعدالة تفسيراً آخر يلائم مصلحتها كما سترى

لا يمكن تنظيم أمة مالم يجتمع عدد كبير من أفراد تلك الامة تحت لواء المصلحة المشتركة بينهم، ومن العبث اجتماع البشر كاهم في أمة واحدة تحت نظام واحد لان هذه النظرية لا يمكن تطبيقها . وتأليف أم صغيرة ضعيفة غير مستحيل غير ان حالة مثل هذه الامم الصغيرة تستوجب الشفقة لان وجودها يخالف للناموس الطبيعي أي ان ليس لها حق الوجودي ، ودونك البرهان الحسي العملي المعقول : المقدمة المنطقية الاولى : ان البشر مضطرون بحكم نمو عددهم المضطرد الى تأليف جماعات طبقا لناموس التعاون ولكن هذه الجماعات تكون متباينة لا في الكمية فقط بل في الكيفية أيضا

المقدمة المنطقية الثانية : ان اختلاف العناصر وعوامل الاقليم والمناخ وجدت منذ الازل وسوف تبقى بحكم الطبع الى الابد

النتيجة المنطقية الثابتة: لذلك وجب تباين الامم بمددها وأنواعها بسبب تباين الاجناس والالوان والاخلاق والعوامل الطبيعية من جيوغرافية وغيرها من العوامل الخارجية أي انه وجب وجود أم ضعيفة بين أم قوية بحكم الطبع . ولما كان ناموس تنازع البقاء — وهو ناموس طبيعي ثابت — يجبر الامم على حفظ كيانها وعلى تقوية ذلك الكيان على حساب الضعيف من جيرانها^(١) كان من الضروري وجود ذلك التنازع بين الامم الضعيفة والامم القوية . لذلك قلت ان الامم الضعيفة

(١) المنار: يعني ان سنة تنازع البقاء تدفع الامم بما يشبه الاجبار الى حفظ وجودها الاممي وتنميته مما تسلبه من الامم الضعيفة المجاورة لها

تستوجب الشفقة لانه لاحق لها بالوجود — ومن المستحيل دوام وجودها وهي عرضة لخطر الاضمحلال في كل حين بسبب التنازع الطبيعي بينها وبين القوي من جيرانها . ولا بد للتوي من استعمال قوته وهذا الاستعمال هو الحرب بأبسط معانيه . وأقول بعبارة أوضح: ان كل أمة يجب ان تعتمد على القوة، على القوة وحدها، في اثناء معاملاتها العمومية مع سائر الأمم والا كانت أمة ضعيفة عرضة للفناء في كل حين اتشد الفيلسوف التلياني ماشيا في مثل هذا التعليم بحجة انه يرمي الى اعتبار القوة غاية الوجود لا واسطته . ولكن غاية الوجود « هي حماية مصالح الفرد وترقيتها حتى يصل الى الدرجة المطلوبة من السعادة والكمال » وهذه لا يمكن الحصول عليها من دون مساعدة الأمة، والأمة لا يمكن أن تقوم بالحماية والترقية ما لم تكن قوية، وقوتها لا تأتي إلا من حصر محبة بنينا لها وحدها أولا، والا فاتي لأفهم كيف ان زيدا يحب خير العالم أجمع وهو لا يحب خير أمته ووطنه وجنسه وعائلته أولا . فالواجب الانساني إذن يقضي على المرء بمحبة جنسه أولا

إذن أرى أن الناموس المسيحي القائل بالمحبة والاحسان والغيرية هو أشرف ناموس في الكون لكنه وضع لاجل العلاقات الفردية في الأمة الواحدة فقط، ولا يمكن تعميمه على الانسان والانسانية، لان التعميم مخالف للنواميس الطبيعية الثابتة، والتخصيص أولى، إذن الذي لا يحب أخاه القريب، لا يقدر على أن يحب البعيد الغريب وعلى هذا الرسول يواس ذاته فيلسوف الكنيسة المسيحية وواضع أهم تعاليمها

٣ — فلسفة العدالة في المعاهدات والحروب

ليست الحرب مقتصرة على اقتتال الجيوش فقط بل الحرب اصطلاح سياسي يعني وجود أمة تنازع أمة أخرى سواء كان باستخدام السلاح أو باستخدام السياسة . والحروب السياسية تعني مضايقة فريق لفريق آخر بواسطة المعاهدات التجارية أو المعاملات الاقتصادية من صناعية وتجارية وزراعية وما أشبه . وإذا لم يذعن أحد الفريقين للآخر بحرب السياسية يصير الاتجاه الى السلاح أمرا لازما، غير ان مسؤولية رجال الحكومة في أثناء الحروب السياسية تقضي عليهم بالمحافظة على مصالح الشعب وإيماء ثروته . هذه هي الغاية الاولى لهم . أما

الواسطة فحاضمة لحكم الظروف. فإذا كانت الظروف توجبهم الى اطراح المبادئ النظرية الادبية جانباً فليهم ذلك لانهم بهذا الانحراف يخدمون المصلحة العمومية لا المصلحة الفردية . واذا رأوا الخطر محققاً بالشعب فعليهم مباغته العدو والغدر به قبل أن يتم معداته حتى يقضوا على قواه الهجومية والدفاعية ويأمنوا شرّ تنازعه اياهم منافع البلاد وعمار أراضيها ومعاملها وهذا لا يأتي إلا بانحاء القوة المحسوسة وازديادها . ولذلك كانت القوة مظهراً من مظاهر العدالة لان الحروب عدل وبها وحدها تثبت العدالة على أساس متين . وبرهاناً لذلك أقول :

لنفرض ان أمة إبان ضعفها خضعت بحكم السيف الى جارها القوي وسلمت معه بشروط مكتوبة على ورق سموها معاهدة ، ولنفرض أن تلك الامة الصغيرة صارت قوية على تمادي السنين فرأت أن تلك الشروط التي كانت قد رضيت بها أولاً في أيام ضعفها صارت ثقيلة عليها تضر بمصالح الشعب في أيام قوتها . فالشعب في هذه الحالة الاخيرة صار يرى ذاته مغدوراً مغبوناً . واذا هب الى مزيق المعاهدة الاولى المحجفة بحقوقه فعمله هذا هو العدل بعينه . ولا يمكن ان يرضى العدالة المجردة بغبن شعب كامل وغدره . ليس ذلك فقط بل اننا لا نقدر أن ندعو الأذعان لشروط محجفة عدالة وفضيلة . بل ان العدالة تقضي بتمزيق المعاهدة المضرة الجائرة بواسطة المفاوضات السياسية أولاً التي ادعوها حرباً بطيئة كامنة ، فاذا نجحت فيه والا فاستعمال السيف والمدفع يصبح أمراً واجباً — ولا يمكن أن يوجد الحق ويثبت ما لم يكن مؤيداً بالسيف ومدعوماً بالمدفع وقوة الساعد ولذلك كانت الحرب فضيلة . أي ان الحرب أمر ضروري للمجتمع الانساني لانه رمز العدالة ومنشئ الشجاعة والجرأة في الامة ورفيق الحق والمطالبين به . واذا تركت الحرب تجبن الامة عن المطالبة بحقوقها فتبقى مغبونة مقهورة ذليلة ومثلها لا يثبت في ميدان تنازع البقاء لان ناموس بقاء الانسب يقضي عليها إن عاجلاً أو آجلاً والانسب هو الاقوى في كل حال

هذه هي زبدة تعاليم الجنرال فون برنهاردي المدونة في كتابه الجديد « المنطق

والمبادئ في الحروب» ودونك مجل الانتقاد العلمي للفلسفي البديع الذي نشرته مجلة القرن التاسع عشر الطائفة الصيت في عددها الاخير قالت :
تعليق مجلة القرن ١٩١١ على الكتاب الالمانى

ليس الجنرال فون برنهاردي وحده القائل هذا القول ولا هو من وضع هذه الفلسفة أي فلسفة القوة والاعتماد عليها وحدها لاجل تثبيت الحق والعدالة . بل اننا اذا آمننا النظر نرى أن معظم علماء الالمان وفلاسفتهم قالوا بهذا الرأي ونشروا مثل هذه التعاليم من ارستو هكل العالم الطبيعي المعروف زميل شارلس دارون الى نياتش المادي الشهير، وغيرها كثير . وليس من العدل والانصاف ان تقلل من أهمية هذه التعاليم لمجرد انها صادرة عن أعدائنا فإن « العلم مشاع بين جميع الامم وليس لوطنه حدود » فلندرس إذًا مبادئ الجنرال برنهاردي وتعاليمه بكل نزاهة ولنحصها في بوتقة التحري بقطع النظر عن قائلها

قال ارسطو الفيلسوف اليوناني القديم : ان الفضيلة هي الوسط بين متضادين . أي ان الشجاعة مثلا هي فضيلة لانها وسط بين الجبن والتهور . فالجبن رذيلة لانه دليل الذل وصغر النفس ، والتهور رذيلة أيضا لانه دليل الحماقة والكبرياء — وكل هذه العيوب الاخلاقية تدل على وجود مرض يعقل المصابين بها وخصوصا الغرور والكبرياء ^(١) وقس على ذلك الصدق والكذب والحق والباطل وما أشبه ذلك من المتضادات

(١) الأفكار : انفق ونحن نقرأ هذه المقالة البديعة ان وصلتنا الصفاء الغراء فوجدنا فيها ما يأتي : — قال أحدهم : المتكبر أجدر الناس بالشفقة لان الكبرياء مرض في العقل . أي ان صاحب الصفاء يتالم من كثرة ما يرى من المتكبرين حوله . وقد تذكرنا خطبة مطبوعة باللغة الانكليزية عندما للدكتور دانيال بلس رئيسنا العلامة الكبير قالها امام صف المنهين مرة فراجعناها واذا في احدى صفحاتها ما يأتي :

« واني أوصيكم بالاعتدال في كل شيء . لان الاعتدال من أهم الاخلاق التي يحتاج اليها الشرق . ومن أعظم المصاعب أمام عملنا نحن المربين والمهذبين في هذه البلاد اننا نرى أفراداً بين السوريين هم مهذبون بكل معنى الكلمة تمام التهذيب — وبالأصل gentleman ، وافرادا غيرهم على غاية من التأخر والانحطاط والحلقة لوسطى بينهم تكاد تكون مفقودة . وينا نرى الكرم لحد التبذير في البعض نرى =

وكم ضل أفاضل من الرجال سواء السبيل لانهم اتخذوا التطرف ديدناً لهم فكانوا باهالهم الصدق مثلاً يكذبون، وهم لا يدرون، وبتطرفهم بالتمسك بالحق حسب اعتقادهم يخدعون الباطل وهم لا يقصدون . والحقيقة أن تعاليم الجنرال برنهاردي مطابقة تمام المطابقة لتعاليم ارسطوطاليس كبير الفلاسفة لولا ما بها من تجسيم يبلغ حد الغلو أحياناً فضلاً عن خلوها من رابط متين يربط الحق بالقوة كما ستري

٢

ان الاساس الذي بنى عليه الجنرال برنهاردي كتابه هو التعليم القديم القائل ان « الحق للقوة » والدعامة التي دعم بها ذلك الاساس هي تعليمه القائل بأن كل الآراء المتعلقة بالحياة الاجتماعية والسياسية تكون آراء مضرّة اذا تجاهلت كون الحق للقوة لانها أي الآراء ليست في هذا التجاهل سوى رياء وتضليل

وبموجب تعاليم برنهاردي يكون الاشتراكيون مرائين ويكون الراديكاليون المتطرفون أكثر رياء وخداعاً ، ليس ذلك فقط بل ان كل الفلاسفة الذين يخالفون مذهب دارون القائل ببقاء الانسب بعد التنازع لاجل البقاء قد اضرروا الهيئة الاجتماعية لانهم دلّوها على التواكل والاستسلام وعلموها الحيلة والرياء وأبعدوها عن القوة - وهي الفضيلة المقدسة التي هي أساس كل الفضائل

والجنرال برنهاردي فضل عظيم في انه شرح هذه التعاليم العملية وحاول تطبيقها على حالة أوروبا السياسية الحاضرة . ولا شك في انه صادق فيما يقول عن القوة وتقديسها - تلك القوة التي صار الشعب الانكليزي (تذكر ان الكاتب عالم انكليزي) يستخف بها وينسبها الى قبائل الزولوس المتوحشة حتى انه أصبح في الآونة الاخيرة يبالغ في تحقيرها وتحقير كل أمة تعتمد عليها . ولكن لما نشبت الحرب الحاضرة أدرك الشعب خطأه وعلم ان من دون الاعتماد على القوة خطر الغزوة

أيضاً البخل لحد الشح في البعض الآخر . وكذلك بينا نرى الذل والجبن في طبقة نرى الفرور فاشياً والكبرياء لحد الادعاء الممقوت في طبقة ثانية . واذا قدرت هذه المدرسة « أي المدرسة الكلية » على إيجاد حلقة وسطى توجد الاعتدال في مشارب السوربين وأخلاقهم نكون قد عملنا عملاً تهذيبياً عظيماً »

الألمانية وبالتالي خطر فناء انكلترة من العائلة السياسية الكبرى
ولا جدال في ان القوي تغلب يوماً على الضعيف جاره واحتفظ بمركزه المتفوق
بالقوة الوحشية وهذا ينطبق على الامم كما على الافراد . ولا جدال أيضاً في ان كل
حكومة راقية تضمن لابنائها المتفردين بالقوة أفضل المراكز ولو على حساب المجموع
لان مجموع الامة يستفيد منهم . وكما ان الام يجب ان تكون قوية جداً حتى تتمكن
من الاعتناء بطفلها الضعيف كذلك يجب على رجلها ان يضمن لها التقوية محافظة
عليها وعلى صغيرها . هذا الشرط الأول من كتاب برنهاردي واضن ان الاندية
العلمية والسياسية عندنا سالت بصحته فوراً

أما الشرط الثاني الذي أقام العلماء وأقدمهم فهو كلام الجنرال الألماني عن
علاقة الامة الواحدة بغيرها من الامم الاخرى فان ذلك الكلام يقرر ان أفراد
الامة الواحدة يجب عليهم التضامن والشكاف وتبادل الصدق والولاء والعطف
والحبة بعضهم مع بعض فقط حسبما ورد في مثل الزوج والزوجة ومسؤوليتهم
نحو طفلهم الضعيف . أما في علاقة الشعب بغيره من الشعوب القريبة فالجنرال
برنهاردي يقول بصراحة ان لا رحمة ولا شفقة ، بل ويل للضعيف في تنازع البقاء ،
لان القوة وحدها هي الحكم الاخير في العلاقات العمومية ، وبقاء الانسب يقضي
بانقراض الضعيف ان لم يكن اليوم فغداً

وبجملته أوضح أقول ان أركان حرب ألمانية يقولون بالحق والعدالة والرحمة
بين أبناء العائلة السياسية الواحدة ، ولكن يقولون بمعاملة الغريب على قاعدة بقاء
الانسب - أي على قاعدة الحق للقوة . وعند درس هذا المذهب براءة وانصاف
نرى انه ليس مذهبا جديداً ولا مخالفاً لما نراه جارياً في الكون ، سواء اردنا
ذلك أم لم نرده . إذن لا أرى ان الذين خطأوا برنهاردي هم من القوم المصيبين
المنصفين (١)

نعم ان عندنا شرائع تضمن العدالة وتجبر الحكومة على اجرائها حفظاً لحقوق

«١» الافكار: ان قائل هذا الكلام هو مستر مالوك من علماء الانكليز اعداء
الامان الالقاء وكلام الخصم حجة

الضعيف من جاره القوي ، ولكن هذه الشرائع وتلك العدالة تسري على أبناء الأمة الواحدة فقط أما على غيرنا من الأمم والحكومات فمن ينكر اننا لانعاملهم بما يعامل به بعضنا بعضا ، ان نكران هذا الامر هو الرياء بعينه ، وهذا هو مبدأ برنهاردي أيضا ، وهالك نص احدى عباراته حرفيا بهذا الصدد قال :

« لا يوجد في الكون حكومة تجري على غيرها من الحكومات ذات القوانين وذات النوع من العدالة الذي تجريه على افرادها هي . كذلك ليس من الواجب على أي حكومة ان تعتني بالغريب وتعطف عليه وتساعد ، ولكن من أوجب الواجب عليها الاعتناء بأولادها وتقوية الضعفاء منهم فقط واجراء العدالة بتمام النزاهة والتدقيق بين المتخاصمين منهم وحدهم . واذا قلنا ان محكمة دولية عمومية يجب ان تنشأ لاجل فض الخلافات بين الدول على مبدأ الحق والعدالة المجردة نعود ونرجع الى القوة الوحشية المحسوسة لاجل تأييدها ، واليك البرهان :

« هب ان خلافاً نشب بين أمتين أو أكثر ورفع أمره الى تلك المحكمة الدولية العمومية العليا (الموهومة) وهذه بموجب الحق والعدالة المجردة أصدرت حكما ضد الأمة القوية المتعدية ورفضت تلك الأمة القوية ان تخضع لحكم المحكمة العادل فإذا علينا ان نفعل ؟ علينا أن نلتجئ الى جيش قوي جدا يرغم تلك الأمة القوية على قبول حكم المحكمة العليا وتنفيذه . والا كانت العدالة والحق والحكم حبرا على ورق من الوجهة العملية . ولما لم يكن تنظيم جيش عمومي ممكننا كان من المستحيل إذن اجراء الحق بين الأمم المتباينة في العدد والقوة اجراء فعليا كما يجري في الأمة الواحدة التي لها من قوة جندها ما يجعل الحق نافذا والعدالة المجردة ممكنة — ولكن بين أفرادها فقط . ومجمل القول ان الناموس الطبيعي المعقول هكذا يأمر أي ان العدالة المجردة يجب ان تجري ولكن بين أبناء الأمة الواحدة فقط لان ذلك ضروري لحفظ كيانها ولتقويتها أما مع الأمم الأخرى فالحق للقوة في كل حال وويل للضعيف والمستضعف (١) »

(١) المنار : حقا انه لم توجد شريعة تأمر بالمساواة والعدل العام غير الاسلام ولكن كانت الدول الاوربية تراعي العدل فيما بينها في الجملة حتى جاءت هذه الفلسفة الجديدة بهذه الحرب العامة التي لا بد ان تعود عليها بالنقض ولو بعد حين

الاستعمار

تنازع ألمانية وانكلترا بسببه

وبعد هذا يوضح الجنرال برنهاردي مسألة الاستعمار بقوله: ان كل أمة قوية لا بد لها يوماً من طلب التوسع في املاكها لان أفرادها المتزايد عددهم يحتاجون أولاً الى المواد الغذائية وثانياً الى المواد الاصلية في الصناعة حاجة تزيد بالنسبة الى عددهم المتكاثر ، وهذه لا يجدونها الا في الخارج . واذا زادت مصنوعاتهم تراهم يضطرون الى ايجاد أسواق جديدة لاجل تصريفها - أي الى ايجاد مستعمرات، فالمستعمرات إذن من لوازم الأمم الراقية

والاستعمار يتم بطرق ثلاث : (١) الهجرة واختلاط المهاجرين تدريجاً مع السكان الاصليين والامتزاج بهم امتزاجاً سلمياً حتى يتغلبوا عليهم بفضل تفوقهم على الوطنيين بالقوى البدنية والعقلية والاخلاقية ، (٢) بانشاء مستعمرات منظمة في بلاد أهلها من نصف المتمدنين أو من غير المتمدنين وامتلاك مثل هذه المستعمرات غير صعب ألبتة ، (٣) بالحرب واغتصاب المستعمرات من أيدي أهلها عنوة إذا كان أولئك الاهلون على جانب من المنعة والتمدن . وهذه الطرق الثلاث تدعى الهجرة والاستعمار والاغتصاب وهي لا تتم إلا باستعمال القوة في احدى مظاهرها وبمعاملة سكان البلاد الاصليين حسب ناموس تنازع البقاء لاجب الحق والعدالة .

والحق كل الحق مع الجنرال برنهاردي في هذا التصريح ، لان كل أمة قوية استمكنت بلادها وبلاد غيرها بقوة السيف يوماً لم تعامل الاهلين الاصليين قط بالمساواة والعدالة كما يدعون. وليس في هذه التعاليم شيء جديد كما قلت آنفاً ولكن الذي زادها أهمية هو اشتباك ألمانيا منفذة هذه المبادئ بحرب كبرى مع غيرها من الأمم ووجود حزب قوي عندنا (أي في انكلترا) شعاره « السلم مهما كلفه الامر » ومذهبه هو أن الذي يأخذ بالسيف بالسيف يؤخذ . وسها عن بال هذا الحزب المتخث ان الذي لا سيف عنده يكون أول من يسقط بسيف الغير ، وخصوصاً في هذه الايام أيام المنازعات والمناظرات والمسابقات الهائلة

ولا أصدق من كلام الجنرال برنهاردي عن السوسيا ليست والراديكاليين (الاشتراكيين والمتطرفين) الذين يزعمون أن الحكومة ليست سوى شركة ضمانة عملها توزيع المنافع والمرافق بالسواء - ان هذه الآراء لا يمكن العمل بموجبها أبدا لأنها آراء نظرية بحتة وكل أمة تسير بموجبها تضعف فتتخط وتفتي على تهادي الاجيال . والشواهد العديدة التي اقتبسها برنهاردي من دارون وكنت وهكل وفشت وشر وغوث تؤيد هذا المذهب، وحجذا لو أنه ذكر اسم كروب ومدافعه أيضاً حتى يصير الاقتباس تاماً، لان كروب واختراعاته لا تقل أهمية عن تعاليم أولئك الفلاسفة

فضائل الحرب — قد برنهاردي

اتني من المعجبين بتصريح برنهاردي القائل ان للحرب فضيلتين هما الشجاعة والعدالة ، فالشجاعة فضيلة لانها رائد الاستقلال ، والعدالة فضيلة لانها رائد الصدق والصدق رفيق القوي دائماً ، ولكن العدالة والصدق يجب أن ينحصرا في الامة الواحدة وافرادها فقط دون غيرهم حسب تعليم برنهاردي، أما في العلاقات مع الغرباء وبين الامم الاخرى فللقوة المركز الاول دائماً ، وكل من يقول بخلاف ذلك فهو خادع أو مخدوع

الى هنا انتهى اعجابي بالتعاليم العملية التي دونها الجنرال برنهاردي في كتابه الاخير، ولكن موضوعاً اجتماعياً فلسفياً كهذا لا يخلو من التعقيد والصعوبة لذلك لا ألوم برنهاردي إذا رأته يناقض نفسه في بعض الاحايين ، ويخط في تدوين المبادئ وشرحها في البعض الآخر

فمن جملة المتناقضات في تعاليمه عدم شقيقته على الامم الضعيفة حالة كونه لم يضمن لنا طريقة ثابتة بها تبقى الامة القوية قوية الى ماشاء الله — وهذا من أهم الاعتراضات أيضاً على مذهب دارون القائل ببقاء الانسب . ومن جملة مواضع الخلط والخط في شرح مبادئه عدم جمعه بين العدالة والقوة جمعاً علمياً ترتاح النفس اليه، بل أراه أبتى هوّة عميقة بين القوة الوحشية التي عبر عنها بالحرب وبين العدالة المجردة التي لا يجوز لها أن تخضع للقوة

ليس ذلك فقط بل ان الجنرال برنهاردي اعتمد على علم الاحياء (بيولوجيا) في مصنفه الاخير وهو مولع بهذا العلم لكنه تجاهل وجود ناموس التعاون والتضامن في النوع الواحد ونسي أو تناسى ان الانسان مهما تعددت أممه وأجناسه وعناصره وألوانه لم يخرج عن كونه نوعاً واحداً من أنواع الاحياء هو نوع الانسان يتطلب كيانهُ ناموس التعاون والتضامن ولو باحد أشكاله البسيطة

ويحوجني الوقت والمجال لأبين أن العلاقة بين الحق والقوة هي علاقة شديدة موجودة فعلاً وهي مثل الارتباط المتين الموجود بين الحرية والمسؤولية وبين الحق والواجب، فكما أن الحرية توجد المسؤولية والحق يوجد الواجب والعكس بالعكس كذلك أرى أن ناموس « الحق للقوة » الذي ينادي به الجنرال برنهاردي وأركان حزب المانيا عموماً يقتضي وجود علاقة متينة بين الحق والقوة لم يشر اليها برنهاردي ولا عرضاً في سياق كلامه . لذلك نرى ان المانيا في هذه الحرب مغمضة عين الحق في بعض تصرفاتها المخالفة ومجسمة فضيلة القوة الوحشية المحسوسة في سائر اجراءاتها مما جعلها عرضة للنقد العادل

أما ما خلا هذه النقط القليلة القابلة للانتقاد فكلام الجنرال برنهاردي صحيح لاغبار عليه، ويجدر بالحزب السلمي في انكلترا أن يدرسه بمزيد التدقيق والتروي عليه يقلع عن تعاليمه النظرية الضارة ويساعد القائلين منا بوجوب تنظيم جيش قوي دائم وتعويد الامة على تربية رجال أشداء أقوياء البدن وعلى غاية من النشاط والبسالة اهـ

[المنار] نقلنا ما تقدم عن جريدة الافكار البرازيلية بنصه مع تصحيح لفظي قليل والقارئ يرى ان غرض صاحب مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية من تلخيص ملخصه من الكتاب الألماني هو إقناع قومه بأن يحذو حذو الألمان في شدة العناية بالقوة الحربية ومنه جعل الخدمة العسكرية اجبارية ، والظاهر ان شر عاقبة لهذه الحرب هو زيادة عناية الامم الاوربية كلها بالاستعداد للحرب وان كان بعض الناس يظنون انها سترجع الى رشدتها بما تقاسي من خسارة الانفس والاموال

بين روسيا والمانيا*)

(وفيه وصية غليوم الاول لحفيده غليوم الثاني)

يذكر قراء « الافكار » ما عر بناه من مدة من تاغراف الامبراطور غليوم الى القيصر نقولا إذ قال له يومئذ انه موصى على فراش موت جده بالمحافظة على صداقة روسيا . وقد قرأنا مؤخرا تلك الوصية المشهورة التي أوصى بها الامبراطور غليوم الاول حفيده امبراطور المانيا الحالي في الساعات الاخيرة من حياته إذ استدعاه وزوؤه بنصائحهم ووصاياه وما يفرض عليه عمله والسياسة التي يجب عليه اتباعها إذا تبوأ العرش . وهذا ملخص نص الوصية :

« إذا كتب لك الحق سبحانه وتعالى أن نملك على عرش أجدادك القيصرية فاعتنق الحق والعدل وبشهما في الرعية . واعتن بالجميل حفيد العناية . واجهد في اكتساب ميل العامة وحب الشعب الالماني بأسره . واسع في تقرير السلام العسكري والسياسي في داخل المملكة وخارجها مع مراعاة قوانينها وشرائعها . وساعد الضعيف ، واعضد العاجز ، وساو كليهما بالقوي ، حتى لا يكون امتياز ولا حيف ، و(حتى) تكون حرية مطلقة في جميع الاديان والمذاهب . تودد الى الامم الغربية على اخلاف نزعاتها ، وحافظ على اتحاد أوستريا والمجر حليفة جرمانيا الالمانية ، لان في هذا الاتحاد موازنة للسياسة الاوربية ورابطا بين الدولتين من قديم التاريخ . ولا تحرم البلاد من فوائد السلم ونعماره الطيبة المذاق إذا لم تكن الحرب أمرا واجبا فيما لو تعدت على المانيا دولة ورامت مهاجمتها أو مهاجمة حليفها . ولا تستخدم قوة ألمانيا لإثارة حرب عدائية تكون أنت البادي فيها ، فان المانيا ليست في حاجة الى مجد عسكري جديد ولا الى افتتاح حديث . حاذر الحرب قدر استطاعتك وإياك ، ودولة الشمال . ثابر على اتباع خطة المودة الوطنية نحو قيصر روسيا اسكندر الثالث ودع المانيا ان تسير على خطة السلام والوفاق الحبي مع روسيا ، وابذل كل نفيس

(*) منقولة عن جريدة الافكار البرازيلية

في سبيل مرضاتها واستالة ردها اليك ، وايد الصلات السامية التي كانت لنا في مدة المائة سنة الماضية في مملكة روسيا جارتنا . فهذه كانت حاساتي (?) الشخصية التي تنطبق على مصالح المانيا ، انتهى

هذا بعض ما وقفنا عليه من وصايا الامبراطور غليوم الاول الى حفيده الامبراطور غليوم الثاني الذي بذل جهده في اتباع وتحقيق أمانى جده من توثيق عرى الصلات مع جارته والممالك المتحالفة معه حتى تبقى العلائق الودية على سابق حالها غير واهية ولا منقصمة

وقد عرف العالم أجمع ما كان لروسيا من الشأن المهم في حربي عام ١٨٦٦ مع النمسا وعام ١٨٧٠ مع فرنسا ، والخدمة الجليلة التي قام بها اسكندر الثاني قيصر روسيا في تسهيل الوحدة الألمانية ، وقد عرف ذلك غليوم الاول كما عرفه وزيره البرنس بسمارك . ولهذا أوصى حفيده غليوم الثاني بتحسين صلاته مع روسيا . ولا يزال العالم يذكر تفراف غليوم الاول الى القيصر اسكندر الثاني سنة ١٨٧٠ إذ قال له « أعتز بأن جل الفضل في فوزي ونجاحي عائد اليك » فضلا عما كان من أعمال بسمارك في حياة غليوم الاول وفردريك الثالث في تسهيل التقرب الى روسيا بالرغم من التحالف الثلاثي ومن مبادئ أوستريا وسياستها البلقانية . وقد كان بسمارك لا يطيّب له عيش الا يوم يأمن نفوذ روسيا . والامبراطور غليوم الثاني ذاته بعد قبضه على صولجان الامبراطورية زار القيصر الروسي قبل أن يزور حليفه النمسا وايطاليا ، كما زار جده غليوم الاول قيصر روسيا يوم تبوأ عرش أجداده ، وعمل على تأييد التحالف الشمالي واهتم في زيادة التقرب من روسيا لتحسين صلات الدولتين ، إذ لم يشأ أن يتعد عنها لما بين الاسرتين المالكيتين في روسيا والمانيا من صلة القربى ، فضلا عن ضرورة الاحترام للوصية السابقة الذكر

ولكن دلكاسه الداهية وزير خارجية فرنسا حالاً مشهور بمداوته لالمانيا فمعين منذ سنة ونصف سفيراً لدواته في بطرسبرج واستطاع بدعائه الغريب أن يفهم روسيا أن النمسا ليست بالعدوة الراهية لو لم تكن تعضدها المانيا وان خير طريقة لكسر شوكة النمسا هي اضعاف المانيا ، وساعدته الظروف والحفكة

السياسية، فابان لروسيا مطامع المانيا وما صنعته مع روسيا في معاهدة برلين وغيرها . وقد نجح دلکاسه في سياسته نجاحاً باهراً إذ أضاف الى الحقد الكامن في قلوب الشعب حقد الحكومة الروسية ، قراخت العلائق بين الحكومتين وسعى القيصر للتخلص من ربة نفوذ امبراطور المانيا عليه ، وخصصت حكومته عشرة مليارات ليرة لنظارة الحرية لسنة ١٩١٣ واشترت بتسعة وعشرين مليوناً من الليرات أوتوموبيلات حربية ، وأضافت عددا عظيماً الى جيشها الهائل ، وجعلت الخدمة العسكرية في بعض الفرق أربع سنوات ، واراوت تغيير المعاهدة التجارية بينها وبين المانيا ، وضربت رسماً باهظاً على القمح الوارد من المانيا الى فنلندا ، وأطلقت سراح الصحافة فاثارت على حكومة برلين عواطف السلافيين ، ومكنت الحقد بين الشعبين . وكان المسيو دلکاسه العامل في كل ذلك الذي وصل الى هذه النتيجة

وكانت الامة الروسية قد رأت خيلاء الامة الالمانية فهاها أمرها لاسيما وهي تنظر اليها نظرة جار يود ضرر الآخر تجارة وصناعة وسياسة . أضف اليه الحقد المتولد في قلوب السلافيين ضد الجرمانيين وتصرف بسمارك نحو روسيا في معاهدة براين كما قلنا بعد ان كان حليفها سنة ١٨٧٨ وقلما ترى الآن في روسيا من يحب المانيا حتى من أولئك الذين يجري في عروقهم الدم الالمانى أو النمساوي كالبولونيين في بوزين وفرسوفيا والتشك في برات والصرب والكروات في اغرام وبلغراد حتى في طيات قلوب البلغارين في صوفيا . وهذا الحقد المنفجر في جميع جوارح السلافيين أرغم حكومة بطرسبرج على الانتصار للصربيين وشهر الحرب على النمسا . وقد ارادت حكومة القيصر أولاً ان تتخذ من السلافيين حقدهم لرشق نباله في صدور النمساويين فقط ، وذلك لان المانيا قد لعبت دوراً مهماً في بلاط روسيا لوجود عدد عظيم من الدوقات الالمانيات في القصر الامبراطوري — كماريا بافلوفا قرينة الفراندوق فالديمير والبزابت فيودوروفنا شقيقة القيصرة ورثيسة دير كبير الراهبات ودوقيات أولدنبرغ وليستنبيرغ والامبراطورة الكسندرا — وعدد عظيم من القواد والضباط وولاة الامور الالمانى الاصل الذين يشتغلون بجميع قوام لزيادة متانة العلاقات بين روسيا ومانيا ، عدا عن العلائق الوطيدة الشخصية

بين القيصر والامبراطور ولان ، حرباً عواناً تقع بين المانيا وروسيا لتفيد الثانية كثيراً .

أما فقد حكومة القيصر على النمسا فكان ولا يزال هائلاً جداً لان فيها الأقل من ١٦ مليوناً من السلافيين تابعين لخسة عشر مليوناً من الجرمانيين . لذلك ليس من الصعب على حكومة بطرسبورج الضرب على وتر نصرتهم الجنسية فضلاً عن ان النمسا ما زالت تعرقل سياسة روسيا في البلقان ، وكانت الحرب بينها بين روسيا أمراً طبيعياً لا مفر منه اهـ

ترجمة الشيخ شبلي النعماني

﴿ بقلم الشيخ حبيب الرحمن خان الشرواني ﴾

مترجمة من جريدة (عليكده إنستيتيوت غازت) بقلم عبد الرزق من تلاميذ دار الدعوة والارشاد

انتهت السنة الثمانية والثلاثون الهجرية على حادثة فجائية ستذكر في تاريخنا الى زمن بعيد : أذيع خبر وفاة الشيخ شمس العلماء شبلي النعماني في صبيحة ٢٨ ذي الحجة أي في الوقت الذي تنير فيه الشمس العالم ، ولكن وآسفاً غربت فيه شمس العلم وأظلم العالم العلمي .

(ثم بين الكاتب مجد المسلمين القدماء وكثرة وجود العلماء والتابعين فيهم الذين كانوا يخلفون السلف ، والمحطاط المسلمين الآن وفقدان الرجال الذين يحلون محل موتاهم . وقال)

ان في سيرة الشيخ عبداً ودروساً للطبقتين — طبقة النابتة الحديثة وطبقة العلماء ، فلو كتب تاريخه لكان نافعاً للمسلمين . وتوخياً للفائدة نلمح الى تاريخه فنقول :

الشيخ شبلي النعماني من بلدة أعظم كدة الشهيرة وهو من أسرة كبيرة وابن رجل عظيم . لا أعلم سنة ولادته ولكني قرأت ما كتب في الجرائد من انه ولد سنة ١٨٥٧ أي سنة الثورة . وكان من أسباب تقدمه العلمي ذهنه الثاقب وطبعه السليم وحرص والده على تثقيفه وتربيته ، ووجود أستاذ كامل له كـ محمد الفاروق الذي كان ماهراً في العلوم العربية والاداب الهندية . أخذ الشيخ شبلي علم الحديث عن العلامة أحمد علي الشهير ، وبعد فراغه من التحصيل دخل خدمة